الهيمنة الأمريكية رؤية في الاحتمال السياسي

أ.م.د. وائل محمد اسماعيل

كلية العلوم السياسية . الجامعة المستنصرية

المقدمة

لعل ابرز ما ترسخ في السياسة الأمريكية مطلع القرن الحادي والعشرين هو مبدأ الافتتان بالقوة الذي وسم السياسة الأمريكية على مدى القرن الماضي وخاصة العقد الأخير منه. فمنذ البداية كنا نشهد تصعيداً أمريكياً باتجاه الانفراد بالقرار الدولي ومحاولة تنصيب القطب الواحد حاكماً للعالم وفق صفات رسمها النظام العالمي الجديد. وكان الهدف هو تشكيل خارطة سياسية جديدة للعالم تقوم على اساس حماية الأمن القومي الأمريكي والمصالح الأمريكية وعلى مستويات عديدة مما أشر حالة من الانصياع والانقياد السياسي للهيمنة الامبراطورية الامريكية.

وعلى الرغم من كل مقومات القوة التي تمتلكها الولايات المتحدة، يطرح التساؤل الآتي:

هل استمرار الهيمنة الأمريكية أمر مضمون ومؤكد؟ وهل حقاً ان الولايات المتحدة ذات الـ٢٨٠ مليون نسمة، وهي نسبة لا تتعدى ٤% من عدد سكان البشرية ستحكم العالم إلى الأبد؟ تشير العديد من المقاييس التي يعتمد عليها خبراء الاستراتيجية إلى أنه لا يوجد أي سبب للتفكير بهذه الطريقة.

هذا ما سنتناوله في البحث هذا من خلال رؤيتين كل منها يمثل احتمال سياسي واستراتيجي لامكانية سيطرة الولايات المتحدة على العالم في العقود القادمة او في المستقبل، وعلى ضوء ذلك سيتوزع البحث إلى محورين متضادين أساساً هما:

أولاً: استمرارية الدور الأمريكي على العالم.

ثانياً: تراجع السيطرة وأفول نفوذها.

المحور الأول:

استمرارية الدور الأمريكي على العالم

وسنقتفي بيان هذا الدور من خلال الطروحات الآتية:

١- جوهر الاستراتيجية الأمريكية في القرن الحادي والعشرين: لا تنازل عن قيادة العالم:

انبرى عدد من الخبراء في مجلس الأمن القومي والاستخبارات الأمريكية وعدد كبير من مراكز الدراسات التي تعمل في خدمة صانع القرار الأمريكي بالاجتماع الذي عقد للفترة من ٧ إلى ٢٧ شباط ١٩٩٩م لمناقشة عدد من الدراسات والبحوث التي تبحث في جوهر لاستراتيجية الأمريكية في القرن الحادي العشرين حسب تعريف "خبراء وحكماء الولايات المتحدة الأمريكية" والتي تلخصت بعبارة واحدة (لا تنازل عن قيادة العالم في القرن الحادي والعشرين)[١]. وتحت هذا المبدأ الاستراتيجي الكبير تتدرج المهام والخطط التكتيكية حتى تستمر واشنطن كمركز وعاصمة لدولة عظمى في الاحتفاظ بعرش القيادة لمائة عام أخرى بلا منافس.. الدراسة الأمريكية تقع في أكثر من ٣٥٠ صفحة تضم العشرات من الرؤى الاستراتيجية للعالم على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية خلال الاعوام المائة الأولى من القرن الحادي والعشرين. تبدأ مقدمة الدراسة بمراجعة شاملة للسنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين حيث يرى حكماء الولايات المتحدة وخبراؤها السياسيون ان الولايات المتحدة الأمريكية والعالم الغربي سيطرت عليه مشاعر من الغرور الشديد والثقة المضاعفة في النفس في اعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي وتفتيته الى دويلات ضعيفة وما تلى ذلك من انهيارات في المعسكر الشرقي، ويعتقد هؤلاء الخبراء ان هذا الغرور الغربي صار مضاعفاً بعد الانتصار الساحق الذي حققه العالم بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في عملية عاصفة الصحراء ضد القوات العراقية، وكان احد دلائل هذا الغرور الغربي ما اعلنه الرئيس

جورج بوش عن النظام العالمي الجديد. وتضيف الدراسة ان العالم شهد تغيراً حقيقياً بالفعل.

واحد اهم عناصر التغير ان الانظمة المحلية في بلدان العالم لم تعد تقبل بسهولة بفكرة (غرور القوة) على الطريقة الامريكية، واذا كانت الولايات المتحدة ترغب في استمرار قيادتها للعالم فان عليها ان تنتهج سبيلاً أكثر تواضعاً مع بلدان العالم وبصفة خاصة بلدان العالم الثالث التي صارت اكثر قابلية لاحتمال الضغوط السياسية، ليس بسبب قوتها الذاتية ولكن بسبب رغبة الانظمة الحاكمة فيها . خاصة الدول التي دارت في فلك المعسكر الشرقي سابقاً . على اثبات انهم مازالوا يملكون القوة على تحدي امريكا حتى بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وضربت الدراسة مثالاً على ذلك بالرئيس اليوغسلافي السابق سلوبودان ميلوسيفيتش، والرئيس الليبي معمر القذافي، ونموذجي كوبا وكوريا الشمالية.[٢] ورغم انتقاد الاستراتيجية الامريكية لما اسمته بغرور القوة الامريكية، الا انها اكدت على أهمية استخدام القوة العسكرية الامريكية عند كل المحطات التي تفشل فيها الدبلوماسية الأمريكية في احتواء النزاعات المسلحة، وتقول الدراسة ان قدر الولايات المتحدة والشعب الامريكي ان يصبح الامن القومي للأمة ممتداً لأكثر من نصف الأرض الى آلاف الاميال بعيداً عن الاراضي الامريكية، وحتى تتمكن الولايات المتحدة من الحفاظ على الأمن القومي لاراضيها ولشعبها فان ذلك يلزم الادارات الأمريكية بضرورة الحفاظ على الاستقرار والسلام في عدد من المناطق البعيدة في اوربا والشرقين الادنى والأوسط. وتعبتر الدراسة ان امن الولايات المتحدة الأمريكية يمتد ليشمل امن القارة الأوربية من سواحل بحر قزوين وحتى شواطئ المحيط الاطلسي، وبالمثل فان استقرار مجموعة دول المحيط الهادي واليابان على رأسها يأتي في المرتبة الثانية بعد اوربا ويليهما منطقة الشرق الأوسط وعلى رأسها (اسرائيل). ويؤكد الخبراء الاستراتيجيون ان المبدأ الاستراتيجي الذي ينبغي ان تحافظ عليه واشنطن خلال المائة عام المقبلة هو عدم السماح بانفجار أي نوع من النزاعات الاقليمية التي

يمكن ان تهدد السلام والاستقرار في هذه المناطق، مشيرة إلى ان أي صراع غير مأمون العواقب سوف يحمل تأثيرات مباشرة على المصالح القومية الأمريكية، وعند هذه النقطة تشير الاستراتيجية الأمريكية إلى ضرورة ان يكون للقوة الأمريكية عامل الردع المباشر في احتواء هذه النزاعات في حالة فشل الدبلوماسية الأمريكية في احتوائها او منع انفجارها، على اساس ان يتم تدخل القوة الامريكية بصورة مقبولة قانونية وتحظى برضا الرأي العام. (٣)

وفي اعقاب هذا التصور العام تحدد الدراسة عشرة اهداف للاستراتيجية الامريكية في القرن الجديد وهي: (٤)

أ- الحفاظ على استراتيجية (الأراضي الآمنة) التي بدء الاعداد لها منذ عام ١٩٩١ والتي تضمن سلامة الاراضي الامريكية من كافة انواع الاعتداءات التي تهدد الأمن القومي سواء عبر انظمة دولية او شبكات ارهاب عالمية.

ب- زيادة كفاءة الاقتصاد الامريكي وتفعيل قدراته التنافسية على مستوى العالم بما ينعكس على مضاعفة قوة الأمة محلياً وعالمياً.

ج- خلق المزيد من الفرص والوظائف والاستثمارات للأمريكيين في كل مكان في العالم.

د- تعزيز القوة العسكرية والقدرات الدبلوماسية كادوات ضرورية لمواجهة التحديات المحتملة في القرن الجديد.

هـ- زيادة التنسيق الأمني لمواجهة التحديات الأمنية العالمية بالتعاون مع الدول الحليفة والصديقة بصورة تضمن المواجهة الحاسمة والفاعلة لتحديات الأمن العالمي.

و- تحقيق السلام والأمن والوحدة للقارة الاوربية واستمرار علاقاتها الخاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

ز- استمرار قوة واستقرار مجموعة دول المحيط الهادي الآسيوية.

ح- تحقيق السلام والاستقرار في الشرق الأوسط ومناطق النزاعات الافريقية.
ط- تأمين المصالح الأمريكية عبر البحار.
ي- استمرار المواجهة الشاملة ضد الإرهاب والمخدرات والجريمة المنظمة على مستوى العالم وممارسة ضغوط اوسع على الدول الراعية للإرهاب.

وبعد شرح طبيعة هذه الاهداف الاستراتيجية الامريكية العشرة يقول الخبراء الأمريكيون ان مهمتنا الآن هي تعزيز هذه القيادة الأمريكية للعالم باستخدام جميع الادوات الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية لتحقيق الاهداف الاستراتيجية والتكتيكية، وتؤكد ان واشنطن يجب ان تحافظ على التفوق العسكري والتكنولوجي بتميز واضح عن سائر القوى في العالم حتى تضمن الحفاظ على المصالح الخارجية وعدم السماح لقوى اخرى بالعبث او تهديد السلام بأي صورة من الصور سواء على المستوى الدولي او على المستويات الاقليمية.

٢- الاستراتيجية الأمريكية بعد احداث ١١ أيلول ٢٠٠٢:

ان احداث الحادي عشر من ايلول كانت اشبه بالبركان الهائل الذي دمرّ ضمن ما دمرّ مفاهيم استراتيجية ظلت صامدة لعدة قرون، وفتح المجال امام مفاهيم جديدة تتضاءل امامها تلك التي شغلت اهتمام العالم منذ ان ودّع عقود الحرب الباردة وودّع معها احد قطبيها لينفرد القطب الآخر بلقب الدولة العظمى الوحيدة، مفاهيم ونظريات من قبيل نهاية التاريخ وصراع الحضارات، التي شغلت ولا تزال تشغل العالم. الا ان هذه الاحداث نقلتها إلى الظل واحتلت مركز الصدارة رؤى استراتيجية لا يعرف احد متى تغيب او تتوارى، ان كان مقداراً لها ان تغيب او تتوارى قبل ان تغير العالم إلى عالم ما بعد أحداث ايلول. لقد غيرت تلك الأحداث المناخ الاستراتيجي للولايات المتحدة كما يقول الرئيس بوش نفسه(٥). ويرى الكاتب الشهير بول كندي، وهو استاذ علم التاريخ، في جامعة "ييل" الأمريكية والمدير المشرف على دراسات الامن الدولي في

الجامعة نفسها ان تفجيرات الحادي عشر من ايلول اجبرت الولايات المتحدة على اعادة النظر في سياستها الخارجية، وعلى تغيير اسلوب حياتها، ولم تعد تنظر الى العالم كما كانت تفعل سابقاً. فالضربة أتت من القوة بحيث انها اصابت الولايات المتحدة في الصميم. ولم تتعرض السياسة الأمريكية لمثل هذه المراجعة الشاملة الا عام (١٩٤١) عندما قررت الانخراط في الحرب العالمية الثانية لصالح الحلفاء بعد ضرب ميناء بيرل هاربر في ٧ كانون الأول ١٩٤١. فقد غيرت هذه أحداث ١١ أيلول نظرة الامريكيين الى الماضي والحاضر والمستقبل. واصبحت اولويات السياسية الامريكية المستقبلية تتمثل فيما يلي: ضرب الارهاب وجماعة ابن لادن في كل انحاء العالم.. وتكثيف الجهود الدبلوماسية والسياسية في آسيا الوسطى ومنطقة الخليج العربي. وهذا ما سيجبر الولايات المتحدة على اهمال امريكا اللاتينية وافريقيا [٦]. غير ان الجوهر الحقيقي للاستراتيجية الامريكية اصبح اكثر من أي وقت مضى هو الحفاظ على الولايات المتحدة الأمريكية كقطب اوحد في القرن الحادي والعشرين دون السماح لأي من القوى الأخرى في ان تنافس فعلاً الولايات المتحدة أو حتى مجرد التفكير بمنافسة لأن القرن الجديد يجب ان يكون امريكا. وتم تأطير ذلك الهدف من خلال رؤى استراتيجية كان من بين اهمها ما اصطلح على تسميته "استراتيجية الامبراطورية".[٧]

٣- الأمن القومي من خلال تبني استراتيجية الامبراطورية

:The Empire Strategy

فبعد احداث الحادي عشر من ايلول عام ٢٠٠١م تبنى العديد من السياسيين والمعلقين الامريكان اطروحة تعزيز الامن القومي الامريكي من خلال بناء الامبراطورية، وان الولايات المتحدة يجب ان تنظر الى الوراء وإلى الامبراطوريات السابقة لتكتسب الدروس والعبر في رسم سياساتها الخارجية. ومثل هذه الالتفاتة لن تكون من اجل تجنب استراتيجيات تلك الامبراطوريات ولكن من اجل تبنيها بالكامل

حماية للأمن القومي الأمريكي. [٨] ويمكن اعتبار ماكس بوت الذي يعمل في مجلس العلاقات الخارجية ورئيس التحرير السابق لصحيفة "وول ستريت جورنال" واحداً من أهم دعاة هذا المفهوم، حيث يقول "ان احداث ١١ أيلول جاءت كنتيجة لضعف الانخراط الأمريكي في الشؤون الدولية وتواضع الطموحات الامريكية، والحل هو ان نكون توسعيون بشكل أكبر في أهدافنا وان نكون اكثر تصميماً على تنفيذها" [٩]. وهو يرى ان الامبراطورية البريطانية التي سادت في القرن التاسع عشر هي المثال الذي يجب ان يحتذى به. "فدولا مثل افغانستان وغيرها من التي تعج بالمشاكل انما تصرخ عالياً من اجل ادارة خارجية متنورة كالتي سبق ان وفرها الرجال الانكليز المتنورين". [١٠]

الداعية الآخر لتبني مفهوم حماية الأمن القومي الامريكي من خلال بناء الامبراطورية هو كاتب العمود المعروف سباستيان مالابي الذي يقول: "ان منطق الامبريالية الجديدة لا يمكن مقاومته على الاطلاق، وان الفوضى التي تعم العالم لا يمكن تجاهلها وان جميع الوسائل المتوافرة والتي تم تجربتها لم تجدي نفعاً " لذلك فهو يدعو إلى اعادة الامبريالية من خلال قيام الشعوب المنظمة والمتطورة بقيادة الولايات المتحدة بتقليد ما حدث في الماضي وفرض انظمتها ومؤسساتها على الآخرين" [١١]. اما روبرت كابلان مراسل صحيفة "اتلانتيك منثلي "فيقول ان صانعي الاستراتيجيات الامنية والسياسية الأمريكان يجب ان يتطلعوا إلى الامبراطوريات اليونانية والرومانية والبريطانية ليستفادوا منها في كيفية صياغة السياسة الخارجية الأمريكية. "ان روما بشكل خاص هي نموذج للقوة الشمولية المهيمنة التي استخدمت مختلف الوسائل من اجل فرض وتشجيع النظام في عالم فوضوي وغير منظم" [١٢].

انا ما يفكر به كل من بوت ومالابي وكابلن هو الاعتقاد الراسخ بان الأمن القومي الأمريكي لا يمكن تحقيقه الا من خلال العمل على بناء الامبراطورية الأمريكية، وبمعنى ادق توسيع المصالح القومية الأمريكية. اما الاسباب التي يوردها هؤلاء

المفكرين فهي كالآتي: "اذا كان جيرانك غير قادرين على قيادة انفسهم سياسياً وبشكل صحيح فان افضل ما يمكن ان تقوم به خدمة للمصلحة القومية هو استعمارهم".

٤- مشروع القرن الأمريكي الجديد New American Century:

في عام ٢٠٠٠ قدم مشروع لإعادة بناء القدرة الدفاعية الأمريكية، ركزت خلاصته على أهمية ان تكون القوات المسلحة الأمريكية قادرة على تحمل مسؤولية القيام بأربع مهام أساسية: (١٣)

١- الدفاع عن الأرض الأمريكية.
٢- القتال وتحقيق النصر في عدد من الحروب المتزامنة.
٣- القيام بواجبات حفظ الأمن مع إعادة تشكيل المناخ الأمني في المناطق والأقاليم.
٤- احداث تحولات في القوات المسلحة الأمريكية من خلال استغلال الثورة العملية في الشؤون العسكرية.

ومن أجل تنفيذ هذه المهام ركز التقرير على أهمية توفير القوة العسكرية والمخصصات المالية لضمان تحقيق الآتي: (١٤)

أ- الحفاظ على تفوق الولايات المتحدة النووي ونشره على المستوى الدولي. وإعادة تقييم دور القوة النووية في التعامل مع التهديدات الجديدة.
ب- زيادة أعداد القوات العاملة في القوات المسلحة لتصل إلى حوالي ١,٤-١,٦ مليون فرد.
ج- إعادة توزيع القوة العسكرية الأمريكية على مستوى العالم في ضوء الحقائق الاستراتيجية الجديدة، وذلك بدفع مزيد من القوات إلى جنوب شرق آسيا

وجنوب شرق أوربا، وتغيير الانتشار البحري الحالي استجابة لدواعي القلق الموجودة في تلك المناطق.

د- تحديث القوات المسلحة بصورة انتقائية، والاستمرار في مشروع الطائرة F-22، وزيادة أعداد طائرات النقل والغواصات، وطائرات الهليكوبتر، والطائرة V-22 Osbery.

هـ- إلغاء مشاريع التسليح المكلفة في حالة اكتشاف انها لن تضيف كثيراً إلى قدرات القوات المسلحة القتالية.

و- تطوير نظم صاروخية مضادة للصواريخ لحماية الأرض الأمريكية وحلفاء الولايات المتحدة ولتأمين قدرات الولايات المتحدة على الدفع بعناصر القوة إلى كل مكان من العالم.

ز- انشاء فرع جديد من أفرع القوات المسلحة للسيطرة على الفضاء (قوات الفضاء الأمريكية).

ح- استخدام منجزات الثورة العلمية في الشؤون العسكرية لضمان تفوق القوات المسلحة الأمريكية على المدى الطويل.

ط- زيادة الانفاق الدفاعي ونسبته من الناتج الإجمالي المحلي بالتدريج من ٣,٥% إلى ٣,٨%.

ان استراتيجية الأمن القومي الأمريكي التي اعلنت بعد ١١ ايلول جاءت امتداداً لهذه الرؤيا التي تهدف لأن يكون القرن الحالي قرناً امريكياً لا تنازعها فيه أي من القوى الأخرى. وتعترف ادارة الرئيس الأمريكي بوش في هذه الاستراتيجية بمحاولاتها لتثبيط عزيمة كل القوى الأخرى من أية محاولة لمقاومة او تحدي الهيمنة الأمريكية. "أن قواتنا تمتلك القدرة لأن تقنع الاعداء والمنافسين بعدم القيام بأية عملية بناء عسكري على امل تجاوز قوتنا او التساوي معها". واذا ما اخذنا بنظر الاعتبار التفوق العسكري والاقتصادي الحالي للولايات المتحدة، فأن هنالك الآن اغراء في ان تتم اعادة هندسة

العالم" وتعميم النموذج الأمريكي في عموم ارجاء الأرض" [١٥]. وبهذا الصدد يقول الكاتب مالابي "نحن نعيش الآن لحظة امبريالية جديدة وبفضل القوة التي تتمتع بها الولايات المتحدة فأنه من الواجب عليها القيادة". ويضيف قائلاً: يجب ان لا تخاف الولايات المتحدة من قتال الحروب الوحشية التي يتطلبها السلام إذا كانت ضرورية لتوسيع امبراطورية الحرية وردع الاعداء جميعهم". وهنا تبرز اهمية الردع في التفكير الاستراتيجي الأمريكي لضمان استمرار الهيمنة الامريكية الشاملة.

٥- أهمية الردع في الاستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين:

تمكن سياسيو الولايات المتحدة فعلاً من اذكاء فكرة الردع الدفاعي عبر كافة المراحل السابقة، عندما اشروا التهديدات للأمن القومي الأمريكي، ووضعوها في صور شتى، منها صواريخ باليستية او صواريخ حاملة للرؤوس النووية والبيولوجية. غير ان الردع اخذ مفهوماً آخر بعد هجمات ١١ ايلول عندما اصبح الإرهاب هو المهدد الاكبر والأخطر للأمن القومي الأمريكي. والردع.. هو فكرة الانتقام المهلك التي يصورها في افضل صورها الرئيس الأمريكي بوش منطلقاً من الانتقام لانهيار ابراجه ومصداقية امنه إلى محاربة العالم بأجمعه في حرب طويلة الامد لم تتحد اتجاهاتها بعد افغانستان والعراق، وان تكهن كثيرون بهذه الاتجاهات. حيث ركز جورج بوش الرئيس الأمريكي الحالي على إقامة الدرع الدفاعي الصاروخي كأساس للردع وكان وزير خارجيته كولن باول في أول ادارته يؤكد ان: الدمار المؤكد المشترك الذي اعتبر اساس الردع النووي اثناء الحرب الباردة، لا يمكن الاستغناء عنه حتى اذا اقامت واشنطن نظام الدفاع الصاروخي". كيف تنظر الولايات المتحدة اذن لمفهوم الردع واستراتيجته، وهل هذه النظرة تختلف عن المفهوم العام للردع، ما هو هذا المفهوم اصلاً؟ وهل اقتصر مفهوم الردع على الردع النووي ام تطور متعدياً اياه للاسلحة الجديدة، وكيف نراه في ضوء حروب القرن الحادي والعشرين لضمان الهيمنة الامريكية؟.[١٦]

لاشك ان استراتيجية الردع، اصبحت استراتيجية القرن الحادي والعشرين خاصة بعد ان قادت الولايات المتحدة حرباً اسمتها بالدفاعية لمواجهة عدو غير محدد بصفة عائمة اسمه الإرهاب. ونظرية الردع، بما فيها الردع النووي، تنص كما جاء بها منشئوها على التهديد بالانتقام ثم قيادة الانتقام المهلك الذي يلحق الضرر (غير المقبول) في حالة العمل العسكري الذي تقوم به الدولة المخاصمة والذي يعرض للخطر المصالح الأمنية الحيوية للدولة المنتقمة. من هنا جاءت الاتفاقيات الأمريكية . الروسية منذ عهد ريجان لتتجنب حرب الدمار الكامل التي يفترضها اسلوب الردع حتى لو كان دفاعياً، واصطلح على تسميته آنذاك بتوازن الرعب النووي. ويفترض هذا ان كلا الطرفين يمتلك اسلحة نووية، وهي مخفية ومحمية لدرجة انه يستحيل ازالتها بتوجيه ضربة واحدة، ويعنى هذا ان الضربة المفاجئة لا تضمن الانتصار للطرف الذي يقوم بالهجوم لأن الطرف المتعرض للهجوم يستطيع الانتقام بتوجيه ضربة نووية. (١٧)

خلاصة كل تلك الطروحات ان العمود الأساسي للإستراتيجية الأمريكية سوف يكون المحافظة على القوة العسكرية الأمريكية وضمان إستراتيجيتها على الامد الطويل.

المحور الثاني:

تراجع السيطرة وأفول نفوذها

ويمكن تحديد عوامل التراجع والأفول الى نقطتين هما داخلية وخارجية:

١- العوامل الداخلية: وتتمثل بـ:

أ- غياب الاستراتيجية:

يقول المرشح الاسبق للرئاسة الأمريكية غاري هارت في محاضرته المعنونة " البحث عن الأمن القومي في القرن الحادي والعشرين" التي القاها في مجلس العلاقات الخارجية، "نحن نبحر في القرن الحادي والعشرين بدون بوصلة. وبالرغم من مرور اكثر من عقد من الزمان على نهاية الحرب الباردة وانتهاء استراتيجية الاحتواء، فان الفراغ الذي حدث بعد ذلك لم يتم ملئه برؤيا متسقة وعميقة وناضجة. ورغم بروز

الولايات المتحدة كقطب اوحد فانها "تسير على غير هدى لأنها لم تربط قوتها بمبادئها، وهي ستبقى كذلك إلى ان تصبح مبادئنا الأساس لاستراتيجيتنا العليا الجديدة". (١٨)

اما تشارلز كينسان الذي اثار كتابه "نهاية الحقبة الأمريكية" نقاشاً عاصفاً في الأروقة الفكرية والسياسية والاستراتيجية المهتمة بالمستقبليات، وهو علم في غاية الأهمية في الغرب في هذه الحقبة التاريخية، فيؤكد على مجموعة مهمة ن الأفكار الجديرة بالتأمل. حيث يرى أن الولايات المتحدة لا تملك استراتيجية كبرى، وهي قوة تائهة ومتخبطة وسياساتها متناقضة وإدارة الرئيس الأمريكي بوش تمادت في سياستها الانعزالية والانفرادية. وان القطبية الأمريكية لن تدوم طويلاً، وحتمية التاريخ تقضي بعودة الصراع الدولي. وإذا كانت الولايات المتحدة تريد امتلاك استراتيجية كبرى، فعليها ان ترسم خريطة جديدة للعالم تحدد القوى الجيو . سياسية التي سوف تشكل النظام الكوني في هذا القرن وتكون مبنية على الواقعية والمنطق السياسي وتوازن القوى. (١٩)

ب- تفتت المصلحة القومية الأمريكية وغياب العدو الاستراتيجي:

يقدم صمويل هنتنجتون تحليلاً لما يسميه تفتت وانهيار المصلحة القومية الأمريكية باعتبارها تنبع من الهوية القومية، والتي تعتمد على عنصرين الأول هو ثقافة وقيم المستوطنين الأوائل من البريطانيين البروتستانت ولامرتبطة بالثقافة الانجليزية وتقديس الحرية الفردية والملكية الخاصة والعلمانية، والثاني هو عقيدة سياسية قائمة على الحرية والمساواة والدستور والليبرالية.. هذه الهوية اهتزت نتيجة التغيرات الاجتماعية والسكانية خاصة تقلص عدد السكان البيض مقارنة بمهاجري العالم الثالث. يزيد من حدة تآكل الهوية الأمريكية تبني الدولة لعقيدة (التنوع الثقافي) التي تشجع الاقليات على الاحتفاظ بثقافتها الخاصة بدلاً من اجبارها على الانصهار في الثقافة الأمريكية الواحدة مثلما كان الحال في الماضي، واذا استمر هذا الاتجاه في القرن الجديد . ولا توجد شواهد على انه سيتوقف . فان وحدة امريكا معرضة للخطر. ففي غياب هوية قومية واضحة تقوم الوحدة على الاجماع حول عقيدة سياسية، وإذا انهار

هذا الاجماع تحولت الولايات المتحدة إلى فسيفساء متناقضة سرعان ما تنهار في النهاية. في الوقت الذي تهتز الهوية القومية الأمريكية اختفى العدو التقليدي الذي يعود اليه (الفضل) جزئياً في توحيد فئات الشعب الأمريكي، ومع سقوط الامبراطورية الشيوعية لم يعد لهذا الشعب عدو واضح يجمع على قتاله.. ولم يفلح (صدام حسين ولا الاصولية الإسلامية ولا حتى الصين في الحلول محل هذا العدو).. الآن والولايات المتحدة سيدة للعالم بلا عدو واضح المعالم تبرز تناقضاتها الداخلية بدرجة اكبر ويقوي من تفتت الهوية الأمريكية . وفق تحليل هنتلجتون . الذي يتساءل من يستطيع ان يحدد (المصالح الأمريكية)؟ ويجيب: لا أحد. [٢٠] فحتى لجنة المصلحة القومية الأمريكية المشكلة لهذا الغرض التي قدمت تقريرها عام ١٩٩٦ فشلت هي ايضاً في العثور على ما هو اكثر من مجرد اهداف عامة مبهمة، لا تصد تهديداً محدداً للمصالح الأمريكية، وانما تضع اهدافها على النحو التالي: (منع الهجوم على الاراضي الأمريكية، منع ظهور قوى مهيمنة معادية في آسيا وأوربا، منع ظهور نظم معادية على حدود الولايات المتحدة، حماية النظم العالمية الخاصة بالتجارة والمال والطاقة والبيئة ومساندة حلفاء الولايات المتحدة). وفي ظل هذا الغياب لرؤية واضحة للمصلحة القومية الأمريكية فإن السياسة الخارجية للولايات المتحدة توجه لخدمة اهداف فئات معينة، وليس لخدمة الشعب الأمريكي ككل. وبذلك اصبحت السياسة الخارجية الأمريكية مطية لكبار رجال المال والاعمال ذوي المصالح والانشطة العالمية، ولجماعات الضغط العرقية كاليهود الأمريكيين والكوبيين الأمريكيين والصينيين الأمريكيين. وعلى المستوى الدولي تعجز الولايات المتحدة عن فرض ارادتها رغم قوتها الهائلة، واذ تفعل حكومات الدول الأخرى ما تشاء ضد ارادة الحكومة الأمريكية او على الأقل تسعى للتمرد عليها وتنجح احياناً. ويصل هنتجتون من تحليله الى نتيجة مفادها انه يتعين على الولايات المتحدة ان تقلل من تورطها في الشؤون الدولية وليس المقصود (العزلة) بل (الانتقائية) ويمكن تنشيط دورها اذا ظهرت لها مصلحة في ذلك. [٢١]

ج: عسكرة الاقتصاد الأمريكي:

يوضح إيفان ايلاد، مدير مركز الدراسات الدفاعية في مؤسسة كاتوا الأمريكية، إلى هذه الحقيقة في تحليله المعنون "الامبريالية الجديدة، وعيوبها المميتة"، حيث يتحدث عن كون الانفاق العسكري الأمريكي يمثل ٤٠% من اجمالي الانفاق العسكري لدول العالم، وهو ما يمثل أكثر من ضعفي مجموع الانفاق العسكري لكل منافسي الولايات المتحدة. وفي مقابل ذلك، فإن الدخل القومي الأمريكي يمثل ٢٩% فقط من اجمالي الدخل القومي العالمي، ويعد هذا الفارق مؤشراً على عدم التوازن بين الدخل الاقتصادي والانفاق العسكري الأمريكي. كما يشير ايلاد الى ان هذا المؤشر يدل ايضاً على مشكلة "الراكبون المجانيون" أو الـ Free Riders والتي تشير في هذا السياق الى كون حلفاء الولايات المتحدة يعتمدون بشكل كبير على القدرة الدفاعية الأمريكية، وبذا فإنهم لا يحتاجون إلى توجيه اجزاء كبيرة من دخولهم الى هذا البند، والمحصلة انه على الرغم من كون الدخل القومي الأمريكي يربو على الخمس عشرة دولة التالية عليه في الترتيب، وأغلبهم من حلفاء الأمريكان [٢٢]. وقد ادى ذلك حسب ما يقوله العديد من الاقتصاديين الى تدهور الاقتصاد الأمريكي الذي يتضح من خلال ما يلي من المؤشرات:

- خسر الدولار الأمريكي ١٦ بالمئة من قيمته منذ عام ٢٠٠٧، كما خسر ٢٦ بالمئة امام اليورو منذ عام ٢٠٠٠ وحتى ٢٠٠٧.
- بلغ الدَّين الأمريكي اكثر من ٣٠ تريليون دولار. بينما كان يساوي خمسة ترليونات دولار سنة ١٩٩٠ يوم سقوط الاتحاد السوفياتي.
- بلغ العجز في الميزانية الأمريكية اكثر من ٤٣٥ مليار دولار سنة ٢٠٠٦، والموجودات الاجنبية لدى الولايات المتحدة كانت حوالي ١٠٠٠ مليار دولار عام ٢٠٠٠، بينما سقطت إلى النصف عام ٢٠٠٦.
- هناك ٣٤ مليون أمريكي بلا ضمان صحي و ١١ مليون بلا مساكن.

- بلغت نسبة المستثمرين الأجانب بالسندات الأمريكية ٤٢ بالمئة وهذا معدّل متدن جداً.

إن هذه الأرقام ليست حالة مرحلية، بل ان الاقتصاد الأمريكي دخل في حالة ضعف ربما لن يتمكن من الاستفاقة منها. والمرحلة الآن تختلف عن مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، حين تفردّت الولايات المتحدة باقتصاد ناشط بعد ضرب اليابان وأوربا، غير ان أوربا الآن ناشطة، وهناك منافسة من الصين وروسيا. لقد دخلت الولايات المتحدة في حالة ضعف بنيوية قد لا تستطيع الإفلات منها، بتأكيد كل الابحاث الأمريكية، وان تخصيص اكثر من ٤٠٠ مليار دولار لميزانية الدفاع والتي يتبجح البعض انها تساوي كل ميزانيات الدفاع للدول الكبرى مجتمعة بل تفوقها، ستنتج خراباً اقتصادياً وعبئاً أكبر على الميزانية والاقتصاد الأمريكيين. بالإضافة لاحتلال العراق الذي يكلف ٤ مليارات دولار شهرياً، فمن اين لأمريكا ان تسدد هذه المصاريف بينما تبلغ ديونها أكثر من ٣٠ ألف مليار دولار [٢٣]

د: معضلة الحدود Frontiers:

يشير أغلب الكتاب المتخصصين بدراسة وتتبع الامبراطوريات إلى أن أحد أهم العناصر التي تقوم عليها الامبراطوريات هي صياغة حدود محددة لها يتم بموجبها تحديد معايير ضم أو استبعاد كيانات معينة من الإمبراطورية، وإلى جانب كون هذه الحدود تمثل إشكالية أساسية في كيفية تحديدها على المستويين الجغرافي والاجتماعي، وتحديد ماهية المناطق التي تقع داخل نطاق الامبراطورية ومن ثم ماهية العوائد التي يتعين تقديمها لحلفاء الامبراطورية، فإن التوزيع المتفاوت لهذه العوائد يخلق قدراً كبيراً من عدم المساواة على المستوى الدولي. ومن ثم فإنه يثير مشاعر من الحرمان النسبي لدى بعض الدول الكائنة خارج هذا النطاق، وقد يؤدي ذلك إلى ازدياد العداء للكيان الامبراطوري الذي يعد مسؤولاً عن هذا التفاوت، ومن ثم امكانية مقاومته بأساليب غير

تقليدية. ويؤدي هذا العنصر إلى اثارة اشكالية اخرى تتعلق بنطاق توسع الامبراطورية. [٢٤] فتاريخ الامبراطوريات يشير إلى أن التوسع الامبراطوري عادة ما ينشأ بسبب حالة عدم الاستقرار التي تشهدها آخر منطقة تمت السيطرة عليها، وهو ما يؤدي إلى دخول الكيان الامبراطوري في سلسلة متعاقبة من التوسعات تؤدي في نهاية المطاف إلى انهاكه وسقوطه. وفي ظل الوضع الراهن على الساحة الدولية فإن كون عنصر التهديد الذي يمثل المحرك الأساسي للتوسع الامبراطوري غير محدد المكان والأسلحة، كما هو الحال مع الارهاب الدولي، فان هذا يغري القوة الكبرى بالقيام بقدر اكبر من التوسع بحجة لزوم القضاء على مصدر الخطر بشكل جذري.

هـ: إشكالية الحفاظ على الاستقرار الدولي:

يشير بعض الدارسين إلى ان ثمة عنصرين رئيسيين يحكمان محافظة الامبراطوريات على وجودها، وهما عنصراً "القوة والمكانة" ، وإذا كان العنصر الاول يتمثل في القوة العسكرية فان العنصر الثاني يتضمن ابعاداً أخرى للسيطرة وهي تلك المتمثلة في النفوذ الدبلوماسي والثقافي الذي تمارسه الامبراطورية على الاطراف الأخرى في النظام الدولي، وكذا مدى قدرتها على الحفاظ على قدر من الاستقرار الدولي، أو أما يسمى "بالخدمات العامة" التي تقدمها الامبراطورية لرعاياها والمتمثلة في وضع حد للحروب الاثنية والدينية والقضاء على عوامل عدم الاستقرار الموجودة في اطرافها المترامية. ولكننا إذا ما نظرنا إلى السياسة التي تتبعها الولايات المتحدة، منذ احداث الحادي عشر من ايلول على وجه الخصوص، فسنجد أنها تؤدي في الواقع إلى تكريس عدم الاستقرار الدولي وذلك على مستويين رئيسيين: [٢٥]

- **المستوى الأول:** يتعلق بتبنيها لسياسة الحرب الاستباقية، وهي بذلك تقوم بخلق قواعد دولية جديدة يمكن استخدامها من جانب فواعل دوليين اخرين بذات المنطق الذي استخدمته الإدارة الأمريكية.

- **المستوى الثاني:** يتعلق بالإشكاليات الأمنية التي يسببها التدخل الأمريكي في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، والتي كثيراً ما تحدث ردود أفعال بشكل غير متسق يقوم على عشوائية المقاومة، ومن ثم فإنه يتسبب في زيادة حدة العداء للولايات المتحدة.

ز: انعدام التوازن في المشروع النهوضي:

إن اعظم ما انتاب الولايات المتحدة الأمريكية هو انعدام التوازن في مشروعها النهوضي؛ فبدل ان تهتم بالإنسان كجوهر اهتمت به كعرض، مما يجعل التقنية المتطورة التي بلغتها تسير على غير هدى حضاري، وهذا من شأنه ان يعرض ليس الولايات لامتحدة فحسب بل الإنسانية بكاملها لعملية الانقراض الشاملة. وهذا الانعدام في التوازن وهو التخطيط المشوه؛ إذ إن الولايات المتحدة سخرت آلاف المليارات نم الدولارات لدعم التسلح والترسانة العسكرية على حساب المجالات الاجتماعية الأخرى، وهذا ما انتج طبقة فقيرة في المجتمع الأمريكي قد تتحول مع مرور الايام إلى قنبلة موقوتة في وجه الشركات الأمريكية الكبرى ذات النفوذ الواسع في السياسة الأمريكية.

ح: انتشار الجريمة والتمايز العرقي:

إن انتشار الجريمة بشكل مذهل في الولايات المتحدة الأمريكية يدل على الانكسار الرهيب في المجتمع الأمريكي، وعلى الطبقية في هذا المجتمع المخملي. وبرغم الإجراءات المتخذة للحد من ظاهرة الجرائم إلا أن كل الإجراءات باءت بإخفاق، وقد تتفاقم هذه الطبقية للتحول إلى ثورة اجتماعية كما حدث في فرنسا ايام الثورة الفرنسية، وقد تمكن كارل ماركس من تشخيص منتهى الرأسمالية عندما اشار إلى ان المجتمعات الرأسمالية ستثور على الوضع القائم إلا ان ماركس اخطأ النتيجة عندما

قال: أن هذه المجتمعات الرأسمالية عندما تثور على الرأسمالية ستنتهي إلى الماركسية التي ماتت؛ شأنها شأن الرأسمالية الآيلة إلى الموت.

إضافة إلى ذلك فقد بات من المعروف أن الهنود الحمر وإلى يومنا هذا يطالبون بحقوقهم السياسية والاجتماعية، وإذا كان الصراع سابقاً بين السكان الأصليين لأمريكا والدخلاء عليها يتم على شكل حرب عصابات وقتل بالجملة من قبل الدخلاء الأمريكان للهنود الحمر السكان الأصليين لأمريكا، إلا أنه اليوم انتظم في شكل تكتلات سياسية وتنظيمات هندية أمريكية أحرجت الولايات المتحدة في الداخل والخارج، والولايات المتحدة الأمريكية التي تدعي حماية الاقليات ونصرة حقوق الإنسان . الوجه الآخر للتدخل الأمريكي في الدول الآمنة . لم تأبه لمطلب الهنود الحمر الذين مازالوا يحتجون على السياسة الأمريكية تجاههم، ومازالت تجمعاتهم في الولايات المتحدة وتحديداً في الغرب الأمريكي تتناقل حكايات جرائم العصابات الدخيلة في حق أجدادهم. والصراع بين السكان الأصليين والدخلاء على الولايات المتحدة مرشح للبروز في أي لحظة؛ لأن عوامله مازالت قائمة، وقد يؤدي هذا إلى خلق فجوة كبيرة في التركيبة الاجتماعية الأمريكية. (٢٦)

٢- العوامل الخارجية: وتتمثل بـ:

١- التعددية القطبية:

فالعالم مقبل على اقطاب فاعلة جديدة ابتداءاً بأوربا الموحدة وخلافاتها مع الولايات المتحدة حول امور عديدة وابرزها قيادة حلف الناتو.

فلقد اعترض الفرنسيون على مقترحات رامسفيلد عام ٢٠٠٤ للمطالبة* بأن يتدخل الناتو في أي مكان في العالم، وطالبت ميشيل اليوت ماري بضرورة الحفاظ على الولاية الجغرافية للحلف، وعلى تحديد عملياته في إطار المناطق المجاورة للدول الأعضاء، وطالبت فرنسا بألا يتدخل الحلف في أي نزاع دون الرجوع إلى مجلس الأمن

وعلى صعيد عام لم يعلن قادة الحلف تأييدهم لعمل عسكري ضد بغداد رغم كل جهود الطرف الأمريكي لجعل قمة براغ قمة التحالف لضرب العراق، فقد تمسك قادة الحلف بمجلس الأمن، وأصروا على بقاء هيئة الأمم المرجعية العليا في اتخاذ القرارات الحاسمة. ولذا نجد أن "أوربا القديمة" ممثلة بالمعسكر المناهض للحرب في العراق قررت ان تمضي خطوة أخرى نحو بلورة تباينها عن الولايات المتحدة وبريطانيا في القمة الأوربية المصغرة التي شهدتها العاصمة البلجيكية بروكسل والتي جمعت قادة فرنسا والمانيا وبلجيكا ولوكسمبورغ، والتي تعهد فيها الرباعي بالمضي قدماً في ارساء بنيان دفاعي اوربي مشترك متكامل وتجاوز التحذيرات التي اطلقتها واشنطن ولندن وغيرهما من عواصم "أوربا الجديدة" من ان هذه الخطة من شأنها ان تعزز الانقسام الحاصل داخل الاتحاد الأوربي بخصوص العراق وتضعف التحالف الاطلسي. ويتضمن هذا المشروع الأوربي العسكري الجديد "القديم" بداية تشكيل قوة تدخل سريع في اللواء الالماني الفرنسي الموجود مسبقاً وزيادته بقوات خاصة بلجيكية ووحدات مقاتلة اخرى في لوكسمبورغ. وستخضع هذه القوة الجديدة لقيادة مباشرة من قيادة عامة جديدة في بروكسل ويفترض انها اصبحت جاهزة لاجراء المناورات المشتركة ابتداء من عام ٢٠٠٥، كما قرر القادة الأربعة لتشكيل قيادة نقل عسكري استراتيجي بحلول ٢٠٠٤ أيضاً. (٢٧)

لقد حاولت فرنسا والمانيا بلجيكا ومنذ ١١ أيلول ارساء سياسة أمنية مستقلة عن الولايات المتحدة وبدأوا حملة للدفع نحو سياسة عسكرية اوربية اكثر قوة بهدف اعطاء اسنان للسياسة الخارجية الأوربية وجعلها تؤخذ على محمل الجد من جانب الولايات المتحدة. لكن فرنسا وبريطانيا حتى الآن هما الوحيدتان في الاتحاد الأوربي اللتان بدأتا زيادة انفاقها العسكري. وفي مقابل هذا، عمل القادة الأربعة على التخفيف من هذه المخاوف وقوة الاعلان الرسمي لقمتهم لعدم اثارة الحساسيات مع الآخرين منذ الآن. فقد اصر اربعتهم على ان مقترحاتهم ليست عدائية تجاه احد وليست حصرية انما هي

مفتوحة امام الاعضاء الحاليين والمستقبليين في الاتحاد الأوربي لكن هذا لا يمنع ان الأربعة تحديداً هم من اتهمتهم الولايات المتحدة وبريطانيا بتشكيل محور اللاحرب ضد العراق وسيتعين عليهم فعل الكثير لاقناع واشنطن بأنهم لا يريدون الاستقلال العسكري عن الناتو الأمريكي. وبالطبع لا يمكن النظر إلى خطة الرباعي الأوربي او معسكر اللاحرب الأوربي على انها جديدة فهي لم تخرج عن أطر الخطة الأمنية الأوربية التي شهدتها منتديات ميونيخ والتي عرقلتها الولايات المتحدة [٢٨]، على مدى سنين قيادتها للناتو، وهي بعد ذلك تتضمن وكما أعلن عنها في قمة بروكسل سبع نقاط رئيسية تتمثل في الآتي: [٢٩]

١- انشاء "قوة تدخل أوربي سريع"، وهي فكرة تدعمها كل الدول الأعضاء في الأصل حيث تهدف لانشاء جيش اوربي قوامه ٦٠ ألف جندي.
٢- انشاء "قيادة اوربية للنقل العسكري الاستراتيجي الجوي" بحلول عام ٢٠٠٤، إلى جانب خطوات مماثلة على مستوى النقل البحري والبري يفترض ان تتم مناقشتها لاحقاً. ويفترض بهذه القيادة ان تعتمد على الوسائل المتاحة حالياً إلى حين دخول طائرة النقل العسكرية الأوربية ايرباص ايه ٤٠٠ ام الخدمة الفعلية نهاية هذا العقد.
٣- تشكيل "قوة حماية" اوربية مشتركة مهمتها حماية القوات العسكرية والمدنيين في أوربا من مخاطر أي تهديدات نووية او كيمياوية او جرثومية.
٤- تأسيس قوة اوربية للدعم والاغاثة مهمتها توفير مهمات طوارئ واغاثة انسانية سريعة قادرة على البدء بتنفيذ الأوامر في غضون ٢٤ ساعة فقط.
٥- ارساء مراكز تدريب تكتيكي عسكري اوربية لطياري الطائرات النفاثة والمروحيات مع ارساء مناهج تدريب متكاملة للقوات البحرية بين الدول العسكرية.

٦- تعزيز مقدرات ادارة الازمات والتخطيط العملياتي وارساء "نواة قوة مشتركة" واقامة مقر عام لقيادة هذه القوة في العاصمة البلجيكية بروكسل صيف ٢٠٠٤.

٧- تشكيل "قيادة تعبوية متعددة الجنسيات للقوات" لتحسين مستوى امكانيات القيادة والتحكم المتاحة حالياً للاتحاد الأروبي والناتو. (٢٩)

وتتطلب هذه الخطة تضمين الدستور الأوربي نص المفهوم الجديد "الاتحاد الأمني والدفاعي الأوربي". وهذا الاتحاد يجب أن "يجمع في عضويته الدول الأعضاء الراغبة في المضي اسرع وابعد في تعزيز تعاونها العسكري". وعضوية هذا الاتحاد تعني ان الدولة العضو يجب ان تكون مستعدة لِـ:

١- زيادة انفاقها العسكري.

٢- الانضمام لبرامج المشتريات العسكرية المشتركة مثل طائرة النقل العسكرية الثقيلة أي. ٤٠٠ أم.

٣- الشراكة عن المقدرات العسكرية والتدرب العسكري للضابط.

٤- الاستعداد في المشاركة بعمليات حفظ السلام التي تديرها الأمم المتحد.

يؤكد المشهد الراهن اذن ان ثمة إرهاصات يمكن ان تقود لإعادة رسم خريطة القوى والتحالفات الدولية، على اساس تعدد الاقطاب، ووفق قواعد جديدة، يشارك في رسمها اللاعبون الجدد ، ويكون من شأنها توسيع دوائر القوة والفعل والتأثير، وعتق العالم من أسر القوة الأمريكية التي هيمنت وحدها على مقاليد الشأن العالمي وفق قانونها، بعيداً عن الشرعية الدولية، والقانون الدولي! فهل تعني محاولة المحور الفرنسي الألماني، ومساندة بلجيكا، وروسيا والصين لتلك المحاولة ان العالم سيشهد . في المدى القريب . ولادة نظام دولي متعدد الاقطاب، لتطوى صفحة القطبية الاحادية. لاشك ان

"صدام الارادات" الذي يسيطر على المشهد الدولي الراهن يعني الكثير، وعلى حد قول رئيس الوزراء الفرنسي جان بيير رافارين فإن المسألة ليست لعبة وانها لم تنته! إذا كان الأمر كذلك، فإن النهاية لم تقرر او تحسم بعد، ورغم أن الضباب مازال يلف الكثير من تفاصيل المشهد، الا ان الأمر الذي لا يمكن غض الطرف عنه. أن ما يحدث داخل التحالف الغربي . بين ضفتي الأطلنطي . يعنى بوضوح أن ثمة نقطة تحول خطيرة في العلاقة بين أعضاء التحالف الذين يخوضون حرباً باردة فيما بينهم في اختبار قاس لموازين القوى التي كانت تحسب . حتى الأمس القريب . على أنها "طرف واحد" في المعادلة الدولية. على ان الأخطر يتمثل فيما سوف تسفر عنه نتائج ما بعد الانسحاب الأمريكي العسكري من العراق والذي يؤسس بدوره إلى نظام دولي جديد ، بعد مرحلة انتقالية امتدت حتى الآن، وتصورها البعض . وفق ما روجت له واشنطن . أنها النظام الدولي الجديد حقاً! ربما كان ذلك هو ما تتحسب له الولايات المتحدة، وتخشى عواقبه!.

بالمقابل فإن المحور الفرنسي الألماني، ومن ورائه روسيا والصين، وقوة الرأي العام العالمي، والتي عبرت عنها المظاهرات غير المسبوقة تاريخياً . على الأقل منذ حرب فيتنام . والتي غطت مئات المدن، حتى داخل الدول التي تناقضت رؤية حكوماتها "المؤيدة لبوش" مع تطلعات ورغبات شعوبها "الرافضة للحرب ضد العراق" راهن كل هؤلاء على أن الولايات المتحدة يمكنها أن تحارب العراق، لكنها لن تستطيع أن تحارب العالم أجمع، لتوقف عجلة التأريخ عند لحظة فرض هيمنتها الأحادية، ولتمنع اعادة صياغة النظام الدولي وفق قواعد ومعايير جديدة تتفق مع رؤية أكثر عمقاً وحكمة، ومستفيدة من دروس التاريخ، والقدرة على استشراف المستقبل ، وتجاوز طوق الآنية الخانق الذي حجب طيلاً رؤية ما يلوح في الأفق!.

لقد ذهب زبيغينو بريجنسكي مستشار الأمن القومي في عهد كارتر الى ان بلاده ليست مهتمة فقط بالترحيب بالانشقاق الأوربي، بل ان بعض الأوربيين باتوا يعتقدون أن

الولايات المتحدة وقد تأثرت إلى حد كبير برغبة واضعي السياسة من انصار الحرب، باتت تخطط بالفعل لخوض استراتيجية كبرى بشأن التحالفات، حيث ينشأ تحالف يضم دولاً غير أوربية كروسيا والهند و"اسرائيل" بدلاً من "الناتو"، وكل من هذه الدول يكن عداءات ما لبعض بلدان العالم الإسلامي. إن إشارة بريجنسكي تحمل نوعا من التحذير لإدارة بوش من خطورة اللعبة التي تقامر بمستقبل "الناتو" وتعرضه لخطر غير مسبوق من جهة، وتفتح من جهة أخرى باب العداء على مصراعيه للولايات المتحدة التي تبدي استعدادها لنفض يديها من حلفائها التقليديين الذين تربط الكثير منهم علاقات ايجابية مع العرب والمسلمين، لتستبدلهم بحلفاء يكنون مشاعر عدائية للعالم الإسلامي! تحذير الاستراتيجي الأمريكي كبير السن يعني ان تصرفات واشنطن تجاوزت الخطوط الحمراء.(٣٠)

ب- الهيمنة الصهيونية على القرار الأمريكي:

لقد استفاد الكيان الصهيوني من اللوبي اليهودي الواسع النفوذ في الولايات المتحدة الأمريكية. وللعلم فإن العديد من المنظمات المسيحية الأمريكية بدأت تستشعر الخطر الصهيوني على الولايات المتحدة نفسها وعلى العقيدة النصرانية، وبدأت تتحدث عن الأخطار المحدقة بالنصرانية كتوجه عقائدي وسياسي، وقد تدخل هذه التوجهات المسيحية المستيقظة في صراع سياسي مع اللوبي اليهودي لينعكس ذلك تذبذباً على المسار السياسي الأمريكي في المستقبل. وقد تعمقت تلك التوجهات بشكل خاص بعد احداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ وسيطرة اليمين الديني المتحالف مع الصهيونية على دفة السياسة الخارجية الأمريكية. لقد افرزت تلك الأحداث واقعاً مريراً على مختلف الأصعدة لعل الداخل الأمريكي الأكثر تضرراً منه خاصة وانها ادت إلى فرض قوانين جديدة للحياة داخل الولايات المتحدة وخارجها لا تمت بصلة الى الديمقراطية والقيم التي تتبجح الولايات المتحدة بها لأي حرب تخوضها. من هذه القوانين ما برزته الحاجة الأمريكية للأمن القومي وما نتج عنه تسليط سيف الضربات الاستباقية التي مثلتها حتى

هذه اللحظة حربان كانت الأولى في افغانتسان ثم العراق في سلسلة شرعتها قوانين صدرت عن الكونغرس الأمريكي ومجلس شيوخه اللذين يسيطر عليهما الجمهوريون. (٣١)

فبعد سيطرة اليهود على المال والاعلام، ارادوا ضمان سيطرتهم على الولايات المتحدة الأمريكية من خلال حكمها بمجموعة من الصهاينة المسيحيين، وخصوصاً بعد ان ازدادت في الولايات المتحدة حركات المعارضة للحروب الأمريكية التي يدفع بها الشباب الأمريكي الى الموت، وتغطي مالياً من جيوب دافعي الضرائب الامريكية لمصلحة الصهيونية ومخططاتها الاقليمية. ويقول ديفيد دوك "العضو السابق بمجلس النواب عن ولاية لويزيانا والمرشح السابق لمنصب رئيس الولايات المتحدة" في مقال بعنوان "الإرهاب الاسرائيلي والخيانة الامريكية وراء هجمات الحادي عشر من أيلول": "أن السبب الحقيقي وراء معاناتنا من هجمات مركز التجارة العالمي واضح وبسيط. وهو ان العديد من السياسيين الأمريكيين خانوا شعبهم بدعمهم غير المحدود لأكبر دولة راعية الإرهاب غريبة بأن تسيطر على الحكومة الامريكية.. ووضع الامريكيون انفسهم تحت رحمة حكومة خائنة، أنها اسرائيل الدولة التي مارست الإرهاب المتواصل ومازالت تمارسه. وإذا كان بوش صادقاً في دعواه لمحاربة الدول التي تؤوي وتساند الإرهاب! فأنه يتحتم عليه ان يبدأ باسرائيل تلك الدولة التي انتخبت أكثر الإرهابيين دموية في العالم كي يكونوا رؤساء لحكوماتها. هذه الدولة التي تأسست على الإرهاب، باعتراف ومفاخرة زعمائها، وبصمت ومباركة دولية.

ج- تكلفة اثار احتلال العراق:

فالعراق وأن استقر تعبوياً بالنسبة للادارة الأمريكية حالياً فانه غير مستقر في الحسابات الاستراتيجية للادارات القادمة، ماذا ستعمل وما هو مستقبل وجودها فيه. ستظل عقبة تحول دون استمرار الدور الأمريكي عالمياً. (٣٢)

د- تزايد الكراهية والعداء للولايات المتحدة:

هنالك موجة عارمة من الكراهية والعداء للسياسات الأمريكية وليس للشعب الأمريكي.

ويؤكد المؤرخ البريطاني الشهير نايل فيرجسون ان الولايات المتحدة قد صنعت خاتمتها بيديها لعدة أسباب أولها أنها لم تستوعب فكرة انتهاء زمن الامبراطوريات التقليدية، وأفول الممارسات الاستعمارية التي كانت تمارسها قبلاً الامبراطوريات القديمة فمضت تقلدها وتحاكيها غير عابئة بالتغيرات السياسية والاقتصادية والتقنية التي يشهدها عالمنا، ففكرة الاكتفاء بإرسال قوات عسكرية وجيش بفصائل مختلفة يتولى الدفاع عن المصالح الأمريكية في بقاع الدنيا وينشر المفاهيم والقيم الامبريالية الغربية ويقوم بردع الديمقراطيات الوطنية الوليدة لم تعد تصلح في زمننا هذا، فقد اختلف الوضع اليوم تماماً إذ أصبح لزاماً على الامبراطورية الأمريكية ان تتبع تكتيكاً آخر مختلف يسميه هنا المحلل البريطاني بالامبريالية الليبرالية أي تلك الامبريالية التي مع قدومها للمستعمرات تنشئ بنية تحتية قوية وتؤسس دولة حديثة تتمتع بالمرافق والخدمات، دولة لديها شبكة اتصالات واسعة واقتصاد قوى حتى تتمكن من ممارسة سلطاتها على مستعمراتها، ولما كانت طبيعة المواطن الأمريكي المتغطرسة المبتكرة ترفض مغادرة حدود الولايات المتحدة، وتنبذ فكرة الدفاع عن مصالحها الخارجية وحدودها العالمية، فالنخبة الأمريكية كما يؤكد فيرجسون يتركز طموحها على المناصب اللامعة في مجالات العمل داخل الولايات المتحدة فقط، فصار من المحال ان تبقى الامبراطورية الأمريكية بقوتها وجبروتها وسلطانها ومن ثم اصبح افولها وانهيارها امراً وارداً رغم كل الامكانات الهائلة التي تمتلكها ثم يتحدث فيرجسون عن خاصية فريدة تتمتع بها الولايات المتحدة دون سائر بلدان العالم، فهي مكروهة عالمياً لكنها في الوقت نفسه تعد بمثابة حلم عزيز يداعب مخيلات البعض!!. [٣٣]

هذه الرؤية للمؤرخ البريطاني نايل فيرجسون، تؤكد ما سبق وقاله الكاتب الأمريكي الشهير بول كيندي في كتابه المعروف صعود وسقوط القوى العظمى والذي رصد فيه ذلك القانون التاريخي الذي يحكم آليات صعود القوى العظمى وآليات سقوطها فتحدث عن تناقض الثروة والنفوذ والاتساع الاستراتيجي الذي يتمدد بأكبر من طاقة الثورة وقدرتها، فيبدأ الانهيار. ان الولايات المتحدة الآن تتمدد استراتيجياً وتفتح نيران الكراهية ضدها في أكثر من مكان في العالم وفي وقت واحد، وبقدر يفوق طاقتها على الاستمرار والصمود، ومن ثم فانهيارها حتمي، والأمر فحسب أمر وقت وأمر مقاومة مضادة لها، وكلما تصاعدت هذه المقاومة وتوحدت ان السقوط أكثر تأكيداً وحتمية. لذلك نستنتج العديد من المحللين الاستراتيجيين ان الاحادية القطبية لا يمكن ان تستمر.

الخاتمة

أخيراً ان نوازع الشر والقوة غير المقيدة لابد وان توقفها نوازع الخير والقوة المنظبطة. وان كانت الأولى مثلت الاحتمال الأول لاستمرارية الدور الشيطاني للولايات المتحدة، فان الثانية هي الامال المعقودة على المتغير البازغ نحو الحد من غلواء الهيمنة الامريكية. وربما يكون العقد الثاني او الثالث او الرابع من القرن الحادي والعشرين مآلاً لتحديد هذا الدور فان العقد الخامس نعتقد سيكون محصلة لكل المتغيرات التي تم الاشارة اليها في الاحتمال الثاني (الوارد ذكره في المحور الثاني) لتفعل فعلها في تحجيم وتراجع هذا الدور.

هوامش البحث

١- استراتيجية البيت الأبيض في القرن المقبل: مائة عام أخرى من الزعامة الأمريكية، صحيفة البيان الاماراتية، ٢٨ ايار ١٩٩٩، ص١.

٢- المصدر نفسه، ص ص٢ و٤.

٣- قارن مع : د. حسين كنعان، مستقبل العلاقات العربية . الأمريكية، بيروت، دار الخيال، ط١، ٢٠٠٥، ص ص ١٨٧-٢١٢.

4- Robert Kagan, of Paradise and power: America and Europe in the New World Order (New York, 2003) pp.99-110.

5- George W.Bush. "Address to the Nation" September 11, 2001 (www.White house. gov/news/ releases/ 2001/ 09/ 20010911-16. html [accessed May 2003].

٦- امريكا والعالم بعد تفجيرات ١١ سبتمبر، عصر الرعب "صحيفة البيان الاماراتية. الملف السياسي . ٢٠ آيار/ ٢٠٠٢.

٧- سول لانداو، الامبراطورية الاستباقية، ترجمة: ليلى النابلسي، بيروت، شركة الحوار الثقافي، ط١، ٢٠٠٥، ص ص١٦-١٨.

٨- يفجيني بريما كوف، العالم بعد ١١ سبتمبر وغزو العراق، ترجمة: عبد الله حسن، الرياض، مكتبة العبيكان، ط١، ٢٠٠٤، ص ص ٢٥٤-٢٥٥.

9- See Max Boot, The Savage Wars of Peace: Small Wars and the Rice of American Power (New York: Basic Books, 2002).

10- Ibid, pp.28-29.

11- Sebastian Mallaby, "The Reluctant Imperialist: Terrorism, Faild States, and the Case for American Empire," Foreign Affairs 81.No.2 (March-April 2002) p.6.

12- Robert D.Kaplan, Warrior Politics: Why Leadership Demands a Pagan Ethos (New York: Random House, 2002) p.153.

١٣- د. السيد ولد أباه، عالم ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، بيروت، الدار العربية للعلوم، ط١، ٢٠٠٤، ص ص ٣٦-٣٧.

14- Patrick F.Tyler, "U.S Strategy Plan Calls for Insuring No Rivals Develop". New York Times, March 8. 2001) P.A1.

١٥- قارن مع: زبيغينو بريجنسكي، الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادة العالم ، ترجمة : عمر الأيوبي، ط١، ٢٠٠٤، ص٢٣٨.

١٦- قارن مع جوزيف س. ناي، مفارقة القوة الأمريكية، ترجمة: د. محمد توفيق البجيرمي، الرياض، مكتبة العبيكان، ط١، ٢٠٠٣، ص ص ٢٥٦ و٢٧٧.

17- See Robert Jervis, "International Primacy: Is the Game Worth the Candle?" International Security, No.4. (Spring , 1993) , pp. 52-67.

18- Gary Hart, In Search of National Security in the 21st , 2003.

١٩- تشارلز كينشان، نهاية الحقبة الأمريكية، عرض ومناقشة مركز جنين للدراسات الاستراتيجية، ج١، صحيفة البيان في ١٥ آذار/ ٢٠٠٣.

20- Samuel Huntigton, The Erosion of National Interests, Foreign Affairs, September? October, 1997, PP.28-49.

21- Ibid.

22- Charles A. Kupchan, The End of American Era: U.S. Foreign Policy and the Geopolitics of the Twenty- First Century (NewYork: A.Knopf, 2002) p.18.

٢٣- للمزيد حول تكلفة احتلال العراق على الولايات المتحدة، انظر: د. خير الدين حسيب، مستقبل العراق، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ايلول ٢٠٠٤، ص٢٣٢.

٢٤- للمزيد أنظر: زبغنيو بريجنسكي، الفوضى، ترجمة: مالك فاضل، عمان، الأهلية للنشر، ط١، ١٩٩٨.

٢٥- ياسمين سامي ضيف الله، سقوط الامبراطورية، اسلام أون لاين، في: http://www.islam online. Net/ Arabic/ mafaheem/ 2003/ 07/ article 01e.shtml.

26- Kupchan, OP. Cit. P.210.

* تكرر ذلك الطلب من قبل وزير الدفاع الأمريكي الحالي روبرت غيتس مكرراً ذلك ٧-١٢/ ٢/ ٢٠٠٨ حينما طالب اعضاء الحلف الايفاء بالتزاماتهم في افغانستان منذراً بانهيار الحلف.

٢٧- زياد حافظ، مضمون واتجاه التغيير في البيئة العامة على الصعيد الدولي وفي المنطقة العربية، في كتاب العولمة والنظام الدولي الجديد، مجموعة باحثين، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، كانون الأول/ ٢٠٠٤، ص ص ٤٤-٥٠.

28- See John Deutch and els, Saving NATO.'s Foundation", Foreign Affairs, Nov. Dec. 1999.

٢٩- لهيب عبد الخالق، بروكسل تبني مصداً اوربياً لرياح الهيمنة الأمريكية، صحيفة البيان الاماراتية، العدد ١٨٧، ٤ تموز/ ٢٠٠٣، ص٣.

٣٠- نقلاً عن حافظ: مصدر سبق ذكره، ص ص ٤٥-٥٠.

٣١- سالم عبد الله السبعاوي ، الإرهاب في التوظيف الأمريكي، رسالة ماجستير في الدراسات الدولية، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٤.

٣٢- قارن مع: جورج فريدمان: مستقبل العراق: البحث عن توازن تجاه ايران، في كتاب الاحتلال الأمريكي للعراق صوره ومصائره، مجموعة باحثين، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، حزيران/ ٢٠٠٥، ص ص ١٦٣-١٦٩.

33- See Niall Ferguson, Colossus: The Price of America's Empire, Penguin Press, April/ 2004.

وأيضاً: امريكا: إمبراطورية الشر والكراهية والفوضى، نويل مامير وباتريك فاربياز، عرض وتقديم: سعيد اللاوندي، ملفات الأهرام المصرية، ٢٢ آيار ٢٠٠٤.